السيد الحسن انها تعطي الثورة الفلسطينية السلاح والغذاء دون قيد ولا شرط ، او كروسيا التي حج بعض زعماء الثورة الفلسطينية الى قبر لينين فيها وقدموا له باقات الغل والياسمين » . اما الصدامات بين الاردن والمقاومة فقد حدثت « لاسباب تتعلق بالامن الداخلي لهذه الحكومة » ، وبسبب عقلية حركة المقاومة « كان الصدام بين المقاومة وبين بعض الدول العربية ، وحق له ان يكون » ( الصياد ٣-١٠/٢/٧٢ ) . كما ان جهات اخرى بادرت الى حملة تشهير مماثلة ، صاحبتها حملة حصار وتضييق شاملة .

وكانت المقاومة تحاول في هذا الجو ان تخرج من الطوق المضروب عليها ، وكانت عملياتها في الارض المحتلة ، وفي الجليل بشائر الحركة بعد الشلل . ولكن هذه الحركة النشاز وسط الصمت العربي عسكريا والعودة الى الحديث عن التحرك الديبلوماسي واعادة الحوار مع الولايات المتحدة كانت تثير القوى المضادة في كل مكان ، فلسطينيا وعربيا ودوليا واسرائيليا .

وجاء رد الفعل الاسرائيلي يوم ٧٢/٢/٢٤ على شكل انذار . كان المتحدث دافيد اليعازر نفسه . قال اليعازر : « ان اسرائيل قد تضطر الى القيام بعمليات على طول حدودها مع لبنان » . واضاف: « ان هذا الهجوم الذي وقع داخل اسرائيل ليس مجرد كمين ، وانه هو نذير بموجة جديدة من الهجمات الفدائية على طول الحدود اللبنانية » . وأشار اليعازر الى اتفاقية القاهرة قائلا : « ان اسرائيل لم توافق على الاتفاق المعقود بين الفدائيين ولبنان الذي يسمح لهم بشن عمليات داخل اسرائيل ، على الا يكون ذلك من اراض لبنانية » ( الاخبار القاهرية ، ٧٢/٢/٢٥ ) .

وخلال اقل من اربع وعشرين ساعة بدا الهجوم الاسرائيلي الكبير على جنوب لبنان . حاول العدو في هذا الهجوم ان يحقق الاغراض التالية : ١ — سحق القواعد الفدائية الموجودة في الجنوب، واجبار الفدائيين على التراجع بعيدا . واستخدم لذلك طائراته ومدفعيته استخداما كثيفا ، كما استخدم آلياته ومظلاته . ٢ — اجبار الدولة في لبنان على اتخاذ موقف في ظل احتلال اسرائيلي ، تلغي فيه اتفاقية القاهرة ، وتتولى هي مهمة تصفية الوجود الفلسطيني في لبنان ، بكل الطرق الممكنة . ٣ — وضع سكان الجنوب في موقف يجبرهم على معاداة الثورة الفلسطينية . ٤ — التأثير على اتجاه السياسة في لبنان ودفعها الى مواقع جديدة ، تجعلها اكثر انسياقا في مخطط التصفية والاستسلام . وكان العدو يتوقع ، كما تتوقع القوى المضادة كلها ان « يهرب » الفدائيون بسبب كثافة الهجوم وشدته ، لتساوم اسرائيل بعد ذلك على مكاسبها .

وما ان بدأت الاعتداءات حتى بدأ التحرك الرسمي على المستويات المختلفة . ١ — داخليا : اجتمع الرئيس فرنجية بزعماء الكتل النيابية ، وتباحث معهم في قضية الهجوم الاسرائيلي على الجنوب. ولم يعرف بالضبط ما دار في هذه الاجتماعات ، ولكن من المؤكد ان النقاش دار فيها حول الاجراءات المطلوبة للخروج من الازمة . ٢ — على صعيد العلاقات مع المنظمات الفدائية : اجتمع الرئيس سلام مع الاخ ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير، وحضر الاجتماع العماد غانم وبعض المسؤولين وجرى التشاور حول الوضع ، وكان واضحا من الحوار ان السلطة تطرح موضوع تعديل اتفاق القاهرة ، ان لم نقل انها تطرح الغاءه . وكان مما جاء على لسان احد المسؤولين انه طرح موضوع المخيمات ، بينما كان القتال ما زال مشتعلا . ٣ — على الصعيد الدولي : جرت اتصالات مع الدول الكبرى الصديقة ، وعلى رأسها الولايات المتحدة وفرنسا ، وكانت الاتصالات مستمرة . ٤ — وعلى الصعيد العربي : اتصل بعض الرؤساء بالرئيس فرنجية هاتفيا ، وارسل بعضهم رسائل وارسل اخرون موفدين ، واصدر بعضهم بيانات التأييد والتضامن .

وبينما حاولت بعض الصحف ، النهار مثلا ، ان تبرز القضية وكأن كل شيء قد انتهى ، كان القتال ما زال مستمرا ، وكانت الجماهير تتفاعل وتتجاوب ، مع ما يجري هنالك على الجبهة . وحين انتهى القتال ، وانسحبت القوات المعتدية ، حاولت صحف القوى المضادة ان تركز على ما يلي: ١ — ان الجيش اللبناني عاد الى المرقوب ، وانه عاد ليذود عن تراب الوطن ، وليحافظ على الامن والسلام . ٢ — ان انسحاب القوات الاسرائيلية الغازية كان نتيجة تحرك لبنان الدبلوماسي ، وان « صداقات لبنان الدولية فعالة جدا » ( العمل ٧٢/٢/٢٩ ) . ٣ — ان العلاقات بين لبنان والمقاومة